للصهيونية ، الا اني اتساءل احيانا اذا كان عدائي مطلقا للفكرة التي حملها بعض اليهود بانشاء دولة لهم . في العام الماضي ، دعيت الى مؤتمر قرب شيكاغو عقده بعض الامريكيين من اصل عربي ، وهناك سمعت رجلا متدينا جدا يدعى « فاروقي » يقول في خطابه انه معاد للصهيونية بشكل مبدئي بغض النظر عن احتلالها لفلسطين وان عداءه لن يتغير اذا قامت الدولة اليهودية في القمر . وهنا تدخلت مشيرا الى عدم معارضتي شخصيا لفكرة الدولة اليهودية في القمر — مما اثار ضحك الحاضرين — ولكنني تراجعت بعض الشيء ، لانني ادركت ان انشاء دولة يهودية حتى في القمر يؤثر على وضعي كمواطن من اصل يهودي مندمج في المجتمع الفرنسي . الا انني على استعداد لقبول هذا الوضع الجديد لو جاءت الصهيونية بحل حقيقي لمشكلة مجموعة من اليهود . ولكنها اقامت دولتها — وهذا مأخذي الرئيسي عليها — على حساب العرب عامة والفلسطينيين خاصة . وكل ما عدا ذلك ثانوي وقابل للمناقشة . فلو قررت مثلا مجموعة من الشاذين جنسيا اقامة دولة خاصة لذوي الشذوذ في احدى جزر المحيط الهادىء ، فان الموضوع كذلك قابل للنقاش .

واخيرا بالنسبة للماركسية لقد كنت في الماضي وخلال فترة طويلة عضوا في الحزب الشيوعي ، ولكني ابتعدت عنه ، واعتبر الان نفسي ماركسيا مستقلا . وهذا التعبير بحاجة الى تفسير لا مجال له هنا . حين استعملت نفس التعبير في احدى محاضراتي بالقاهرة منذ عامين ، طرح علي احد الحضور الاذكياء استفسارا حوله (واعتقد انه ابراهيم سعد الدين) . فامتنعت عن الاجابة في حينه لان الموضوع يحتاج الى تفكير طويل ، وسأرد عليه في كتابي الذي سيصدر قريبا . ببضع كلمات ، استطيع القول ان بعض القوانين الاجتماعية التي اكتشفها ماركس ، على الصعيد العلمي ، تبدو لي الان من المسلمات . وعلى الصعيد الايديولوجي ، فان القيم العليا التي دافعت عنها الماركسية — على الاقل نظريا وليس دائما في التطبيق — هي القيم التي احاول الاخلاص تجاهها . فالاممية وخدمة الانسانية تبدو لي افضل من القومية في خدمة شعب دون الشعوب الاخرى ، ومن الفكر الديني الذي لا تسمح لي شكوكي العديدة تجاهه الاستعاضة عن المثل العليا الانسانية به .

في مقالاتك ومحاضراتك العديدة ، وخاصة في مقال ((الازمنة الحديثة)) بعنوان ((اسرائيل، واقع استعماري ؟)) وفي كتابك ((اسرائيل والرفض العربي)) ، حددت تحليلك ومواقفك في المسالة الفلسطينية ، فهل بالامكان تلخيص هذه المواقف للقارىء على ضوء التطورات الاخيرة في المنطقة العربية وفي اسرائيل نفسها ؟

هذا موضوع واسع . سأكتفي بالخطوط الرئيسية ، لان التحليل الشامل يقتضي خاصة تحليلا دقيقا للوضع الراهن ، وهذا امر شاق ويحتاج لوقت طويل . بشكل عام ، لم تتغير مواقفي حول اسس الصراع : ما زلت اعتبر دولة اسرائيل ظاهرة استعمارية ، وكما اردد دائما ، فان فلسطين كانت عام ١٨٩٠ بلدا عربيا بقدر ما فرنسا بلد فرنسي . وفي هذه الفترة ، قام هرتزل بتأسيس حركته الداعية الى خلق دولة يهودية في فلسطين ، ولم يكن امامه لتحقيق هذا الهدف الا اسلوبان : اما قمع السكان والسيطرة عليهم ، او طردهم . ولم يكن هناك اسلوب آخر ممكن ، وهذا ما حدث فعلا . حينذاك ، يقال لي ان الاعتراف بالطبيعة الاستعمارية لاسرائيل يقتضي ازالة الاستعمار وذلك في منطق حركة تحرر الشعوب اليوم . وقد اجبت في مقالي المذكور وفي الكتاب بشكل مطول على هذا الطرح بالقول بأن ازالة الاستعمار تحتمل اكثر من معنى واحد . فالاستعمار يزول ، بشكل عام ، اذا زالت كافة علاقات السيطرة والاضطهاد والاستغلال . وهذا لا يقتضي في حالة الاستعمار الاسكاني ، ان يطرد السكان الجدد ويعادوا الى مناطقهم الاصلية ، او ان يصبحوا هم بدورهم تحت سيطرة السكان الاصليين . هناك اذا اساليب متعددة